http://www.almadapaper.com - E-mail: almada@almadapaper.com ◆ العدد(1904) السنة الثامنة - الثلاثاء (14) أيلول 2010

الآراء الـواردة في الصفحة تعبر عن وجهات نظر كتابها ، وقد لاتتفق بالضرورة مع وجهة نظر الجريدة

أحـداث ١١ سـبتمبر ونظـرة الغـرب للإســلام

محمد صادق جراد

"كل ما تحتاج لمعرفته عن الإسلام، تعلمته في ١١ / ٩"
هذا ما كتب على لافتة حملها متظاهرون في ساحات أمريكية ولا فتات أخرى مشابهة ألصقت على جانبي الحافلات لتجوب شوارع أمريكا رداً على حملة لمنظمات إسلامية رفعت لافتات كتب عليها "منهاج الحياة لآدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد: الإسلام. لديك استفسارات؟ إحصل على إجابات".
وتتنامى هذه المناوشات في انتكاسة خطيرة تصيب تاريخ التعايش السلمي بين المسلمين وباقي مكونات المجتمع الأمريكي والأوربي.

في الوقت الذي أثارت قضية موافقة الرئيس الأمريكي اوباما على بناء منتدى إسلامي يتألف من ١٣ طابقا وساحة للصلاة ضجة إعلامية وشعبية كبيرة في الأوساط الأمريكية باعتبار إن المبنى سيشيد على ارض شهدت سقوط آلاف الضحايا الأميركيين .حيث واجه القرار الكثير من ردود الأفعال المعارضة والمؤيدة نظراً لحساسية الموضوع لأن المسجد سيبنى على مساحة من الأرض تشكل قدسية خاصة لأهالي الضحايا الذين قتلوا في أحداث ١١ سبتمبر، إذ أن المتهم بتلك الهجمات هي نفس الجهة التي تريد بناء المسجد حسب نظر المواطن الأمريكي .
وهكذا شهدنا موقف القس المتطرف كرد على الموافقة على بناء هذا المسجد في هذا المكان بالتحديد ولقد جاء موقف القس تيري جونز راعي إحدى الكنائس الأمريكية والداعي لإحراق نسخ من القران الكريم في نفس الاتجاه الذي تسير فيه التنظيمات الإرهابية التي تحاول تشويه صورة أديانها عبر ممارسات متعصبة يرفضها الجميع،فكما رفض الإسلام وعلماؤه تصرفات القاعدة وممارساتها وأفكارها المتطرفة يرفض المجتمع المسيحي موقف هذا القس المتعصب والرافض للإسلام كدين ممكن ان يتعايش معه. ويأتي رفض البعض من الأديان للإسلام بسبب أعمال العنف التي قامت بها القاعدة و الخطاب السياسي الذي تتبناه الأحزاب الإسلامية المتطرفة في العالم الإسلامي والتي أسفرت عن اتهامات صريحة للإسلام بأنه دين الإرهاب والعنف بسبب ما نشهده من تنامي ضروب من الاستبداد الفكري الديني لدى بعض القوى الإسلامية والذي يعمل على ظهور أيدلوجيات شمولية تحاول ان تعطي لنفسها الشرعية في قتل الآخرين من خلال تفسير الدين بما يتناسب مع مصالحها تفسيراً ضيقاً يجعل أصحابها يعتقدون إنهم وحدهم أصحاب الحقيقة، ومن هنا يأتي رفضهم الديمقراطية والاعتراف بالآخر والمساواة في الحقوق بين البشر من الفئات والأجناس والأديان كافة ويلغون ما لدى الآخرين من معتقدات و حقائق فيتحول موقفهم إلى تطرف وقطيعة مع الأطراف الأخرى مما يؤدي إلى قطع الجسور معها واستحالة الالتقاء والتفاهم .وكل هذا يؤدي إلى أن يفقد الدين الإسلامي رسالته و دوره الإصلاحي الأخلاقي العام الذي يمنح الحق للآخرين بإطلاق أحكامهم الخاطئة على هذا الدين..
وفي ظل هذه النظرة السيئة للدين الإسلامي نجد ان الأديان الأخرى تقدم أمثلة ذات قيمة إنسانية حول التسامح وإمكانية التعايش مع الآخر بالرغم من ان هذه القيم والمفاهيم هي من صلب الدين الإسلامي . وآخرها كان مأدبة الإفطار التي أقامها اوباما ودعا إليها سفراء الدول الإسلامية وصرح خلال اللقاء عن موافقته على بناء بيت قرطبة، وبالرغم من الضجة التي قام بها بعض الذين انتقدوا الموافقة على أمر بناء هذه المسجد نجد ان الرئيس الأمريكي اوباما لم يتأثر بالضغوطات ولم يراع الحساسيات التي يشعر بها البعض لأنه رئيس دولة تحترم الدستور وتقع على عاتقه حماية الشعب الأمريكي بكل مكوناته المختلفة وعليه ان يوفر لهم الحرية في ممارسة معتقداتهم .وان الرئيس الأمريكي بموافقته على طلب البناء المقدم من قبل المسلمين ابتعد عن الربط بين الإسلام وبين العنف والإرهاب وحاول ان يقنع الشعب الأمريكي بكل مكوناته بان موقفه كان دفاعاً غير مشروط عن الحرية الدينية والتعايش والتسامح الديني معاً وانه يحارب الإرهاب وليس الإسلام وان خلط المفهومين معاً يجعل الانتصار على الإرهاب أمراً مستحيلاً..
ولا بد من الإشارة هنا الى ان الرئيس أوباما قد جعل في صدارة سياساته الخارجية تحسين العلاقة مع العالم الإسلامي حيث ورث علاقات سيئة من الإدارات السابقة .ولقد أبدى التزاماً كبيراً بفقرات الدستور وتعديلاته التي تدعو لحماية الحريات الدينية(حيث أكد التعديل الأول في الدستور الأمريكي حرية الدين) .ولقد جاءت موافقة أوباما على قضية بناء المسجد بالرغم من اقتراب انتخابات التجديد النصفي التشريعية في شهر تشرين الثاني المقبل، وتعد الموافقة مجازفة سياسية كبيرة بالنسبة للرئيس وحزبه حيث إنها تتعارض مع الرأي العام الأمريكي اذا ما عرفنا ان استطلاعاً قامت به مجلة التايم وجدت أن ٤٦ ٪ من الأميركيين يعتقدون بأن الإسلام هو أكثر عرضة من غيره من الأديان الأخرى لتشجيع العنف ضد غير المؤمنين وان ٦١ ٪ يعارضون هذا المشروع في كراوند زيرو، في حين أن ٢٦ ٪ فقط يؤيدون ذلك. فقط ٢٣ ٪ يقولون انه سيكون رمزاً للتسامح الديني، في حين أن ٤٤ ٪ قالوا إنها ستكون إهانة لهؤلاء الذين لقوا حتفهم في ١١ / ٩
وفي خضم هذه الصراعات والمتناقضات يترتب على الإسلام والمسلمين بجميع مذاهبهم وتوجهاتهم ان يسعوا لإظهار صورة الدين الحقيقية لأنه دين التسامح وتقبل الآخر، والإسلام أول من دعا للتعايش مع الأديان الأخرى عبر الاتفاقيات التي عقدها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مع اليهود وغيرهم في المدينة المنورة وفي باقي بقاع دولة الإسلام ،ولا ندع قيم التسامح والتعايش تصدر من الآخرين وتغيب عن أخلاقنا ومعاملاتنا فإن ذلك سيبعد الناس وينفرهم عن دين الحق.

مسجد قرطبة

ميعاد الطائي

يعد موقف الرئيس أوباما في موافقته على بناء مركز إسلامي ومسجد بالقرب من المكان الذي شهد مقتل الكثير من الإمريكيين عبر اعتداءات ١١ أيلول/ سبتمبر في كراوند زيرو موقفاً جريئاً يجسد التزام الرئيس بمقومات الدولة الحديثة في احترام الدستور الأمريكي الذي جاء بحفظ الحريات الدينية وحماية حقوق المكونات التي تعيش تحت مسؤوليته وبضمنهم ملايين المسلمين. وهذا الموقف ينبع من قناعة الرئيس اوباما بان الإرهاب هو عدو أمريكا وليس الإسلام بالرغم من المواقف المعارضة والأصوات التي صدرت عبر المؤسسات الإعلامية وكتّاب الأعمدة الصحفية ضد هذه الموافقة التي يرى البعض إنها تشكل إهانة لأهالي الضحايا وتثير الحساسية المفرطة التي تكونت لدى الكثير من أبناء الشعب الأمريكي ضد الإسلام والتي ترسخت عبر ممارسات قام ويقوم بها تنظيم القاعدة الإرهابي وعبر خطابات سياسية متعصبة تصدر عن أحزاب دينية متطرفة عملت على إظهار صورة غير مناسبة عن الإسلام وجعلت أصابع الاتهام توجه لهذا الدين بأنه دين الإرهاب والعنف حيث يرى الآخرون أن المسلمين يرفضون الديمقراطية من خلال رفضهم الاعتراف بالآخر وعدم قدرتهم على التعايش السلمي مع الأديان الأخرى .
ومثلما وجدنا فرق وطوائف في دين الإسلام تسيء للمفاهيم الأساسية للدين نجد أن هناك متعصبين في الأديان الأخرى يلعبون نفس الدور السلبي وهكذا انبرى موقف القس الأمريكي تيري جونز الذي هدد بحرق المصاحف المقدسة في الذكرى التاسعة لأحداث ١١ سبتمبر حيث أثار من خلال هذا الموقف ملايين المسلمين في العالم الإسلامي وكذلك استنكار أبناء الديانة المسيحية التي ينتمي إليها هذا الكاهن المتطرف والذي لا يمثل المسيحية في موقفه هذا إنما يتماشى موقفه مع ممارسات تنظيم القاعدة الإرهابي الذي قام بعملية تفجير برجي التجارة العالميين وتسبب في قتل أكثر من ٣٠٠٠ مواطن امريكي على اختلاف دياناتهم مما تسبب في إقحام العالم العربي والإسلامي في صراع خطير مع أمريكا والعالم الغربي الأمر الذي تسبب في تعرض العلاقات الاجتماعية والسياسية بين الجالية الإسلامية وبين الغرب الى شرخ كبير يصعب إصلاحه، وبرزت ظواهر خطيرة في تاريخ هذه العلاقات ومنها الرسومات الكاريكاتيرية الدانماركية التي تعرضت لشخص الرسول الكريم (ص)، وشهدت البلدان الإسلامية أكثر من حرب تحت شعار القضاء على الإرهاب. ومن الجدير بالذكر أن ما أراد القس أن يقدم على فعله له نفس الأهداف التي يسعى تنظيم القاعدة الى تحقيقها وهي تشويه صورة الدين بداعي الحرص على المقدسات والدفاع عنها .
ففي الوقت الذي تستنكر المذاهب الإسلامية كافة ما يقوم به تنظيم القاعدة من قتل وتدمير وتكفير المسلمين، نجد ان بابا الفاتيكان بنديكت السادس عشر قد استنكر ما ينوي القس تيري القيام به ووصف عمله بأنه إهانة خطيرة. وتضمن بيان صادر عن الفاتيكان ما يأتي " إن أعمال العنف المؤسفة لا يمكن الرد عليها بخطوة خطيرة ومثيرة للغضب ضد كتاب مقدس لطائفة دينية" .
ولا بد من الإشارة إلى أن المسلمين الذين انتفضوا اليوم لنجدة كتابهم المقدس وخرجوا في تظاهرات كبيرة فاتهم أن كتابهم المقدس قد تعرض للإحراق في أكثر من مكان وزمان في غفلة منهم .والمصيبة أن الجريمة قد تمت بأيد تدعي الإسلام .وما حدث في العراق اكبر دليل على ذلك .فكم من مسجد وحسينية قد فجرها تنظيم القاعدة في أيام مباركة كالجمعة ويوم العيد على رؤوس المسلمين العراقيين وتم إحراق المساجد والكتب المقدسة التي تحتويها .
ولا ننسى ما حدث لمرقد الإمامين العسكريين في سامراء وعملية تدميره من قبل تنظيمات تم تدريبها وتسليحها في دول إسلامية لتحرق كتاب الله وتحرق معه قلوب المسلمين ومقدساتهم .
لقد فات على بعض المسلمين وعلى هذا القس المتعصب ان القران الكريم هو كتاب الله الذي خلا من التحريف وانه يحمل في ما يحمله أرقى مفاهيم التسامح والعفو والمحبة ويعلمنا ضرورة منح الحرية في العقيدة لغير المسلمين ويعطي حرية التعبد وعدم الإكراه في الدين حيث يقول (لا إكراه في الدين) وعلى الجميع أن يدرك أن العنف لم يعد الحل الأمثل في إقناع الآخرين وان مفاهيم التسامح أصبحت اليوم أهم الوسائل الجوهرية في الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي تحكم العلاقات بين المجتمعات الإنسانية.

١١ سـبتـمبر.. الأســبـاب والـتـداعـيـات

هل كانت أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١ بداية لموجة الإرهاب العالمي ؟ وهل أصبحت القاعدة وزعيمها أسامة بن لادن هم من يمثلون الإسلام في الغرب ؟ وكيف يمكننا أن نتجاوز أحداث سبتمبر وتداعياتها خاصة في ظل تنامي موجة العداء للإسلام ؟
بالتأكيد إن ما حصل في الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١ لم يشكل بداية موجة الإرهاب بقدر ما كان نتيجة حتمية لصعود القوى المتشددة في العالم الإسلامي ، هذه القوى التي وجدت لها مساحات من التأييد أبان الغزو السوفيتي لأفغانستان عام ١٩٧٩ رافعة راية " الجهاد " ضد السوفيت الملحدين" وبدعم ومباركة من أنظمة عربية وتسليح ودعم مادي كبير من أمريكا حين كانت الحرب الباردة في ذروتها ، وقد روجت آنذاك طروحات عديدة منها بأن مقاتلة " الاحتلال السوفيتي" واجب شرعي عبر فتاوى عديدة أصدرتها مدارس فكرية دون أن تفكر أو تعي بأن لها أراضي عربية وإسلامية محتلة هي الأخرى ولكن ليس من السوفيت !

حسين علي الحمداني

وفي نهاية الثمانينيات أنسحب السوفيت من أفغانستان الذي غرقت في مشاكل داخلية عديدة ، وكانت من نتائج هذا الخروج أو الانسحاب هو عودة " المجاهدين العرب " كما تسميهم بعض وسائل الإعلام لبلدانهم بعد أن انتهت مهمتهم في كابول وما حولها من المدن . عادوا بأفكار متشددة جدا ولأن أغلبهم كانوا من دول المغرب العربي وشمال أفريقيا فقد وجدنا موجة من العنف والإرهاب تضرب هذه الدول في مطلع التسعينيات من القرن الماضي وفي مقدمة هذه الدول الجزائر وتونس والمغرب .
وسبب هذه الموجة من العنف ناجمة من تصارع أفكار هؤلاء العائدين مع أفكار المجتمع لأنهم كانوا يسعون لإقامة دولة الخلافة الإسلامية التي طالما تلقوا محاضرات فكرية عنها في أفغانستان أثناء تواجدهم هناك.
ولم يكن أمامهم سوى العودة لأرض "الخلافة" في أفغانستان هذا البلد المنغلق جغرافياً حط به "هؤلاء رحالهم من جديد داعمين هذه المرة حركة طالبان في صراعها على السلطة،وتم لهم ذلك ليبسطوا نفوذ دولتهم الإسلامية على كل أراضي أفغانستان .
دولة طالبان هي من قادت موجة الإرهاب ضد العالم الغربي وبدوافع ليست إسلامية بقدر ما هي عمليات انتقامية من أمريكا التي لم تعد تحتاج من يقاتل نيابة عنها خاصة بعد تفكيك الاتحاد السوفيتي وانتهاء الحرب الباردة وبداية عصر القطبية الواحدة سياسياً وعسكريا واقتصادياً.
لذا جاءت أحداث ١١ سبتمبر على خلفية انتقامية غايتها إذلال أمريكا في عقر دارها ومحاولة مصادرة الواجهة الإعلامية العالمية وإبراز أسامة بن لادن كزعيم إسلامي يمتلك قدرات كبيرة بما فيها ضرب أمريكا ومراكزها الحساسة في وضح النهار.
وهي محاولة من حركة طالبان بجر العالم الإسلامي للمواجهة العسكرية المباشرة مع أمريكا وهذا ما حصل في نهاية المطاف حيث احتلت أمريكا أفغانستان رداً على هجمات سبتمبر وليس لموقعها الجغرافي أو خيراتها أو غير ذلك،واستعانت أمريكا بحلف دولي لإنجاز هذا العمل العسكري دون أن تجد دولة طالبان من يقف معها حتى إعلامياً.
ومع هذا نجد أن تنظيم القاعدة القائم على خلايا هلامية منتشرة في الكثير من دول العالم ما زال يتحرك وينفذ عمليات هنا وهناك كلما سنحت الفرصة لذلك، ولكنه هذه المرة ينفذ عملياته في العالمين العربي والإسلامي لشعوره بأن الشعوب الإسلامية تحمله مسؤولية تشويه صورة الإسلام والمسلمين. خاصة ان أكثر من ٩٠٪ من العمليات الإرهابية لهذا التنظيم في بلدان إسلامية وإن أغلب ضحايا هذه العمليات هم من المسلمين .
وهنا نجد أن العالمين العربي والإسلامي شهدا موجات إرهاب كثيرة بعد سبتمبر ٢٠٠١ وعلى أنواع عديدة النوع الأول: هو عمليات القاعدة سواء في العراق أم المغرب أم مصر أم السعودية أم الصومال أم باكستان تحت مسميات جديدة كأن تكون محاربة " طوائف دينية " أو ضرب مراكز جيش ونقاط شرطة وغيرها من المسميات التي تبتعد كثيرا عن " الجهاد" خاصة تلك العمليات التي تحصل في العراق وباكستان والتي تستهدف الأسواق والتجمعات السكانية وغايتها بالتأكيد قتل أكبر عدد ممكن من الناس .
وهذه العمليات غايتها الأساسية زرع الفتنة في العالم الإسلامي بعد أن فشلت القاعدة في جر العالم الإسلامي للمواجهة مع الغرب وأمريكا بالدرجة الأولى ، نجدها اليوم تركز عملياتها كما أشرنا في دول إسلامية بغية زعزعة استقرارها واستنزاف مواردها من جهة، ومن جهة ثانية تحقيق مكاسب إعلامية شخصية لأسامة بن لادن الذي يبث بين الحين والآخر أشرطة مصورة يحرص على ترجمتها للغات عديدة ليكتسب من خلال بثها حضوراً مرئياً ومسموعاً ومقروءاً.
لذلك نرى أن موجة عداء تصاعدت في الغرب ضد الإسلام لأن هؤلاء نظروا إلى الدين الإسلامي من خلال تصرفات تنظيم القاعدة الإرهابي وبات حكمهم على جميع المسلمين بأنهم يحملون أفكاراً تتطابق وأفكار بن لادن ، ولم تصلهم للأسف الشديد صور الاعتدال والتسامح والتعايش السلمي والمحبة، تلك الصور التي تعكس الإسلام الحقيقي . لذا فإن الإسلام في نظرهم زعيمه الأوحد أسامة بن لادن ومساعدوه كالظواهري وغيره، وعلينا أن نفكر ملياً بتصرفات القس تيري جونز ومخططاته بإحراق نسخ من القرآن الكريم رغم استهجاننا هذا التفكير المتطرف والبعيد كل البعد عن مبادئ المسيحية ، إلا أنه بالتأكيد طالما لدينا في ديننا الحنيف أشخاص متطرفون وهمجيون كابن لادن فبالتأكيد سنجد عند الآخرين من هم أكثر تطرفاً مثل تيري وغيره من الذين كلما مرت أحداث سبتمبر بحثوا عن آلية تسلط من خلالها الأضواء عليهم .
لذا علينا نحن العرب والمسلمين أن نربط بين أحداث سبتمبر ٢٠٠١ وسبتمبر ٢٠١٠ ونحاول إعادة الصورة الصحيحة للإسلام لدى الغرب، وبإمكاننا أن نفعل ذلك عبر تجفيف منابع الإرهاب مادياً وفكرياً، والجانب الفكري مهم جداً خاصة ان الكثير من المدارس الفكرية والدينية ما زالت تنظر وتؤدلج لقوى متشددة لا تؤمن بالوسطية والحوار وقبول الآخر .
علينا أن لا نكتفي بمحاربة الإرهاب عسكرياً بل نعمل على خلق إعلام جديد من شأنه محو تداعيات أحداث سبتمبر ٢٠٠١ ورسم صورة صحيحة للعرب والمسلمين .